ملخص

يعدّ دين الإسلام حركة تقويمية في وجه المعتقدات والتصورات التقليدية، وقد صادف محمد قبل البعثة بعض المصلحين ممن عرفوا بالأحناف، وحينما أعلن عن نفسه رسولاً ونبيًا اعتبر نفسه مُتممًا لحركة المصلحين، فقد اعتبر الناس سواسيةً، وجعل أساس التفاوت بين الناس يقوم على معيار العمل الصالح، وقد كان خصمه في المرحلة المكية الوثنيين من العرب، فقد حاول استمالتهم لدعوته، فاستجاب القليل منهم، وعاداه أكثرهم مما اضطره إلى الخروج من مكة، لتبدأ مرحلة جديدة مع أتباع ديانة أخرى هم اليهود، ومع ذلك فقد استطاع محمد أن يقيم علاقات جيدة وطيبة مع نصارى الحبشة، واستمرت علاقاته مع النصارى في فترة المدينة قائمة على المسالمة. أما بالنسبة لليهود فقد بدأت علاقته معهم بالجدال بالتي هي أحسن، ومحاولة استمالتهم، لكن ما لبثت أن تدهورت العلاقات، وانتقلت إلى مرحلة الصراع العسكري الذي أدى إلى تقلص الوجود اليهودي. وأثناء فترة المدينة واجه الرسول القبائل العربية التي تباينت مواقفه معهم بحسب الظروف، من صلح أو معاهدة أو محاربة.

يهدف هذا البحث إلى دراسة موقف المسلمين من غير المسلمين في فترة الرسول والخلفاء الراشدين، في محاولة لرصد التغيرات التي أصابت تلك المواقف والعلاقات.

تضمن البحث أربعة فصول، أظهر الفصل الأول النشاط الديني في مكة قبل الإسلام كونها مركز الجزيرة العربية، ومحور الديانات، وأكد الفصل على العوامل الاقتصادية التي كان لها دور مهم في تعزيز تلك المراكز. وبيّن اتباع القبائل العربية لتلك الديانات وتأثرها بها. ومدى احتكاك محمد قبل البعثة بهذه الديانات. وأما الفصل الثاني فتعرض إلى علاقة محمد بعد البعثة مع أصحاب بعض تلك الديانات، إذ كان الخصم الرئيسي في تلك الفترة المشركين الوثنيين العرب. وكانت العلاقات في تلك الفترة مع اليهود والنصارى ضعيفة. كما

أوضح الفصل الثالث التغيرات في المواقف والعلاقات مع اليهود، فقد بدأ الرسول أسلوب الجدال الفكري، ولما لم يجدِ نفعًا تحول إلى الصراع العسكري، الذي أدى إلى إضعاف اليهود. وقد تم إيراد بعض الروايات التاريخية التي تبرز الموقف من أهل الكتاب وخاصة اليهود. وقد ظهر في الفصل جليًا استمرار العلاقات السلمية مع النصارى باستثناء موقف وحيد. أما بخصوص القبائل العربية فقد تفاوتت العلاقات معهم بين صلح ومعاهدة ومحاربة، بحسْب الظروف.

وقد عُرض في الفصل الرابع علاقة الخلفاء الراشدين وموقفهم من غير المسلمين وأهل الكتاب، حيث بقيت المواقف كما كانت عليه في الفترة المحمدية، وما جدّ هو ظهور حركات من الداخل حاولت الخروج على السلطة المركزية إبان فترة الخليفة أبي بكر والخليفة علي بن أبي طالب، وقد عرضنا خلال فترة الخليفة عمر ما اشتهر من أمر إجلاء اليهود، والعهدة العمرية، والشروط العمرية، ومناقشة آراء ابن القيم في كتابه أحكام أهل الذمة، وقد لفتنا الانتباه إلى أن هذه الآراء إنما هي وليد ظروف استثنائية، ولا يمكن اعتبارها معيارًا أساسيًا في طبيعة العلاقات مع أهل الكتاب أو غير المسلمين.

وتنتهي الدراسة بتأكيد أن الإسلام كأي فكرة تولَد واحدة بسيطة لكن سُرعان ما تُعارض وتُرفض، ولعدم قوة تلك الفكرة فإنها تتسامح وتنسحب من المواجهة، لتكسب المناصرين والمؤيدين، ثم سرعان ما تكبُر هذه الفكرة فبقدر ما يقع عليها تهديدات يزداد أتباعها ومريدوها، حتى إذا ملكت القوة المتوازنة قابلت القوة بالقوة، لكن المميز لفكرة الإسلام إنها لا تفرط في استخدام القوة إلا في وجه المحاربين، فإذا انتصرت الفكرة وظفرت سامحت وغفرت.